مدار ثنائية أخرى جديدة هي ثنائية العسكري ـ السياسي.

٣ ـ الدولة الوطنية؛ العسكري والسياسي

السجال العنيف الذي دار على الساحة الفلسطينية بين دعاة الحل المرحلي ودعاة الحل الاستراتيجي، لم يكن يعادله، في عنفه، ويوازيه، في أهميته، الاّ ذاك الذي اتخذ الاختيار بين العمل السياسي والعمل المسلّح موضوعاً له، أي الذي دار حول أي من الاسلوبين أرجح، وأفعل، في كسب معركة التحرير.

ينبغي الاشارة، كبداية، الى بعض المعطيات الاولية في الموضوع.

(أ) كانت فصائل المقاومة الفلسطينية حسمت أمرها، بعد هزيمة العام ١٩٦٧، باعتبار الكفاح المسلّح الخيار الأساس، والوسيلة الاهم في «العملية الوطنية التحررية». وكان هذا الكفاح المسلّح ليس شيئاً آخر غير العمل الفدائي الواجب تطويره نحو حرب الشعب طويلة الامد. أمّا العمل العسكري النظامي، فقد اسقطت المقاومة أهميته، بل لم تتوان عن تشييعه ونعيه في أدبياتها. لذلك، حين خاضت فصائلها السجال حول الطريقين، العسكري والسياسي، في النضال، فان ذلك لم يكن ينسحب، حكماً، على الاسلوب العسكري النظامي.

(ب) حين كان يقع الاختلاف بين الفرقاء حول الموضوع كان يقع بين دعاة رفض الحلول السياسية وبين دعاة التعامل بواقعية مع معطيات الظرفية، ولم يكن يقع بين فريق مسلّح وآخر يرفض التسلّح. فبمقدار ما أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والقوى التي وقفت معها في اطار «جبهة الرفض الفلسطينية» تشبثها بالكفاح المسلّح طريقاً رئيساً الى تحرير فلسطين، كذلك فعلت «فتح» والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وبمقدار ما رفضت الجبهة الشعبية وحلفاؤها التسوية المعروضة؛ كذلك فعلت «فتح» والجبهة الديمقراطية[١٦].

يمكننا استعراض ثلاث لحظات في مسار جدل العسكري والسياسي على الساحة الفلسطينية كانت الغلبة في كل واحدة منها لطرف من طرفي الثنائية، ولسبب من الاسباب الموضوعية والذاتية:

اللحظة الاولى، وهي التي هيمنت فيها اطروحة واحديّة، مؤداها ان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد الرئيس الى التحرير والاستقلال. وهي اطروحة هيمنت لاسباب عدة، من أهمها تزايد الثقة في قدرات المقاومة بعد معركة الكرامة وما أعقبها من اتساع رقعة العمليات الفدائية في القطاع والضفة؛ والتعاطف الشعبي الفلسطيني، والعربي، مع رجال المقاومة؛ ثمّ رسوخ القناعة بالتلازم العضوي بين التحرر الوطني والكفاح المسلّح (وهو ما تقدّمه دروس التجارب الثورية العالمية)؛ والتهيّب من اللجوء الى العمل السياسي والحلول الدبلوماسية، لارتباط ذلك بمأساة ضياع فلسطين (قرار التقسيم)، وتفادياً للسقوط في أخطاء الحركة الوطنية بين العامين ١٩٣٦ ـ ١٩٤٨. وقد أضافت هزيمة الجيوش العربية، في حرب العام ١٩٦٧، الى هذه العوامل سبباً اضافياً للاعتماد على الذات، وتعظيم فكرة النضال المسلّح.

اللحظة الثانية، وقد شهدت انتقالاً، في الخطاب السياسي الفلسطيني، نحو الاهتمام بالعمل السياسي والدبلوماسي، ولكن لا بصفتهما بديلاً من العمل المسلّح، وانما كطريق تكميلي له. وعوامل هذا التحول عديدة، يقف في مقدّمها الشعور، وربما اللاشعور، الفلسطيني بمحدودية الآلة المسلّحة الفدائية، بعد ان اختبرت في عمان وجرش وعجلون؛ ثمّ اندلاع حرب تشرين الاول (اكتوبر) وما